العُنف عند الأطفال والمُراهقين في ضوء عامل وسائل الإعلام ووسائل التواصل المُعاصرة ودور المجتمع في مُواجهته.

د.حلوش مصطفى. - جامعة سيدي بلعباس

مقدمة:

تؤدي وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة وظائف وأدوار عديدة، ومؤثرة في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات، فالبرامج والأفلام التي تعرضها وسائل الإعلام السمعية البصرية منها خاصة وعلى رأسها التلفاز لها تأثير في السلوك النفسي والاجتماعي لفئة الأطفال والمراهقين، لما تتميز به من قوة التأثير البصري والسمعي، يجعلها قادرة على توجيه أفكار الأفراد والمجتمع الوجهة التي قد يتعارض مع ثقافة المجتمع ومبادئه، وتبث في المجتمع ثقافة الصدام بدلا من ثقافة التسامح، فالثقافة الالكترونية التي تروج لها بعض البرامج الأجنبية خاصة والتي تتضمن في طياتها أفكارا ومشاهد تغذي قيم العنف، تفلت من الرقابة، فتتدفق المعلومات والقيم بدون انتقاء بما يعزز الرغبة في تبني سلوك مضاد للمجتمع. فكيف يمكن لوسائل الإعلام ووسائل التواصل المعاصرة إثارة العنف أو زيادة حدته عند ارتكابه لدى الأطفال والمراهقين، وكيف يمكن للأسرة والمجتمع الوقاية من الآثار السلبية لما يعرض في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الالكترونية، أو الحد منها؟

1- واقع العُنف في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الالكترونية:

إن العنف عند الأطفال والمراهقين يتخذ أشكالا مختلفة لعل أخطرها الاعتداء الفيزيقي، إن كل الأفراد في هذه المرحلة العمرية من حياتهم قد مارسوا بشكل ما سلوكا عدوانيا مع وجود فروق فردية بينهم. ويعتبر العنف السمة السلوكية الأكثر بروزا في تاريخ البشرية وزادة حدتها وانتشارها، وأساليب ممارستها في علمنا اليوم من خلال تطور وسائل الإعلام وانتشارها الهائل...واهتمام هذه الوسائل الكبيرة بتغطية أخبار الحروب والصراعات (سؤدد فؤاد الآلوسي،2012)

مما لا جدال فيه أن للعنف مضار كثير، وخطيرة على الفرد والمجتمع، إن العنف كما يرى "توركوم" Turkum هو" أحد المشكلات الأكثر أهمية التي تهدد الصحة الجسمية والعقلية للفرد" . (صاحب أسعد ويس الشمري، 2012: 220) ومما يزيد من خطورة هذه المشكلة ظهورها في سلوك الأطفال والمراهقين ضد أقرانهم ،أو ضد مجتمعهم أو الممتلكات العامة والخاصة، والانتشار الواسع لها حيث أن حتى الكثير المؤسسات التربوية لم تعد في منأى عن ظاهرة العنف. وأن العنف ظاهرة تعاني منها كل مجتمعات العالم بدون استثناء وإن كان هناك تفاوت بينها في حدتها، ونطاق انتشارها، والشريحة الاجتماعية أو العمرية التي تظهر فيها، والعوامل الأكثر فاعلية في نشوئها وتطورها. لكن ما يشير إليه الكثير من الباحثين المهتمين بدراسة ظاهرة

العنف خاصة عند الأطفال والشباب أن سيطرت وسائل الإعلام ووسائل التواصل الالكترونية على حياة الأفراد و الأسر والمجتمع ككل أضحى من العوامل الرئيسية التي لا يمكن إغفالها في فهم وتسير هذه الظاهرة الخطيرة.

مما لا شك فيه أن مشاهدة البرامج التلفزيونية، والإنترنيت، وممارسة بعض الألعاب الالكترونية يحقق فوائد كثيرة للأطفال والمراهقين، وفي مقدمة ذلك اتساع الحصيلة اللغوية والمعرفية، والاطلاع على الثقافات الأخرى، وزيادة الوعي بما يجري في محيطه القريب والبعيد. لكن ما هو مثبت علميا كذلك من خلال العديد من الدراسات، أن العديد من البرامج المشاهدة من طرف الأطفال والمراهقين لها أثار سلبية على تكوين الشخصية بما قد يؤدي إلى انحراف السلوك الصادرة منها كظهور السلوك العنيف، وهذا السلوك يظهر حتى في أكثر الأوساط الاجتماعية المعروفة بصرامة نظامها كالأسرة والمدرسة. "أن استعمال الحسوب الآلي نشاط فردي، قد يشكل هذا الجهاز خطرا يتمثل في عزل الطفل، وترجيح تنمية سلوكات مضادة للمجتمع".(Rachel Cohen 1987)

إن المضامين الإعلامية من أفلام، ومسلسلات، ونشرات إخبارية، وأفلام وثائقية، وأفلام الرسوم المتحركة مشبعة بالعنف، وتعرّض الطفل والمراهق لهذه المضامين بشكل متكرر، ولمدة طويلة يترك تأثير سليا وخطير في نفوسهم وقد يترجم عمليا في شكل الإضرار بالذات أو الآخرين أو الممتلكات. كثيرا من برامج الأطفال التي ننظر إليها على أنها مجرد رسوم متحركة أو أفلام خيالية، أو حتى الترفيهية منها كالأفلام الكوميدية تتضمن مشاهد عنف كثيرة من شتم وسخرية وضرب ...الخ. و" لقد تبين أن الأطفال يسلكون سلوكات عنيفة بعد مشاهدة مثل هذه البرامج التي تتضمن كثيرا من العنف" (عبد الرحمان العيسوي، 2000: 26). وعن أثر البرامج العنيفة في المشاهدين، كشفت دراسة تتبعية لمدة17 عاما شملت700 مراهق إلى أن هناك علاقة بين كم البرامج التلفزيونية العنيفة التي يشاهدها المراهقين، والسلوك العنيف الذي يسلكه هؤلاء حينما يصبحون يافعين. كما أظهرت الدراسة أن المراهقين الذين يشاهدون برامج تلفزيونية عنيفة لمدة تزيد على ساعة يوميا خلال فترة المراهقة المبكرة، يصبحون عنيفين في سنوات نموهم التالية، وأن مشاهدة المراهق للبرامج العنيفة لفترة تتراوح من ساعة إلى ثلاث ساعات يوميا ترفع معدل السلوك العدواني لديه (فهد بن علي عبد العزيز الطيار، 2005 :49).

وعن أثر الإنترنت في بروز ظاهرة العنف خاصة في المدارس يؤكد هذا الأثر جريمة الطالب الألماني الذي قام بقتل 17 من معلميه وزملائه في مدرسة بمدينة "إيرفورت" الألمانية، ومن خلال تفحص سيرة حياة هذا الطالب، اتضح أنه معجب بلعبة على الإنترنت تمثل عملية قتل الإرهابيين، كلما زاد عدد القتلى الذين تتناثر دماؤهم بلون أحمر يغطي الشاشة، أثبت اللاعب مهارته الفائقة كما اتضح أن هذا

الطالب كان يعشق أفلام" سيلفستر ستالون" التي يبيد فيها أعداءه (فهد بن علي عبد العزيز الطيار، 2005 :50)

2- البعد النفسي لدور وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة في إنتاج العُنف لدى الأطفال والمراهقين:

من الناحية السيكولوجية وحسب النظرية الغريزية، التي يعد "سيجومند فرويد" من روادها، العنف تعبير عن نزعات عدوانية أساسها غريزة المقاتلة التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، وهذا السلوك العنيف من وجهة نظر " ادوارد نورثون لورنس" مرتبط بعاملين:

- كمية الطاقة المتراكمة.
- وجود قوة المثير المفجر للعدوانية في المحيط الخارجي.

وإذا تراكمت الطاقة العدوانية لمدة طويلة أدت إلى إثارة وتفجير السلوك العنيف في غياب المثير.

أما أنصار نظرية الإحباط – العدوانية أمثال " دولار"، و"ميلر"، و"هربرت مورر" فقد ربطوا العنف بالإحباط، فالسلوك العدواني في صوره المتعددة ينبع من مثير واقعي داخلي وهو الإحباط، والعنف من أشهر الاستجابات التي تثار في موقف إحباطي.

لكن السؤال المطروح هنا كيف أن وسائل الإعلام ووسائل التواصل الالكترونية بتلك المضامين العنيفة تثير نفسيا النزعات العدوانية والسلوك العنيف لدى من يشاهدها من الأطفال والمراهقين؟ الإجابة على هذا السؤال هو كالآتي:

أ- العُنف له قوة جذب كبيرة للمشاهدين، خاصة أن المشاهد يتعاطف عادة مع من يبدي في تصرفاته قوة.

ب - التعرض للمشاهد العنيفة في شاشات التلفزيون خاصة تحفّز مشاعر قد تقود إلى استخدام العنف، فمثل هذه المحتويات الإعلامية تشحنه بطاقة نفسية سلبية، وأفكار عدوانية.

ج- المشاهد العنيفة على شاشات التلفزيون و السينما، وألعاب الفيديو قد تبدو حقيقية للأطفال الصغار، فالأطفال قد لا يميزون في أحيان كثيرة بين ما هو واقع وما هو خيال، وبالتالي قد تكون هذه المشاهد صادمة لهم.

د- التعرض المبالغ فيه لصور العنف في وسائل الإعلام تضعف حساسية الأطفال والمراهقين للعنف، وبالتالي يبدو لهم سلوكا مألوفا ويمكن ممارسته.

ه- الأطفال والمراهقين الذين تتسم شخصيتهم بالعدوانية، بزيادة تعرضهم لمشاهد العنف في وسائل الإعلام يزيد ميلهم للعنف، ويبدو لهم سلوكا ترفيهيا .

2- البعد الاجتماعي لدور وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة في إنتاج العُنف لدى الأطفال والمراهقين:

يري العديد من الباحثين و النفسانيين و علماء الاجتماع أن الكثير من السلوكات يتم تعلمها عن طريق الملاحظة و التقليد، فزعيم نظرية التعلم الاجتماعي "بندروا" انتهى من خلال دراسات تجريبية "أن ملاحظة النموذج أو القدوة الاجتماعي Modèles sociale تأثر في مدى واسع من نشاطات الإنسان ومهاراته الاجتماعية، ومخاوفه وعدوانه." (محمد قاسم عبد الله،2009: 504) وبالتالي فإن أكثر الطرق التي تساهم ظهور السلوك العنيف هي التقليد أو التعلم الاجتماعي.

إن هذه النظرية تقوم على أساس أنه يمكن تعلم العنف من خلال مشاهدة العنف فيما تصوره وسائل الإعلام ، فيما لا يؤكد أصحاب هذه النظرية أن مشاهدي برامج العنف سوف يقومون بأداء أعمال العنف التي تعلموها بشكل آلي. فسلوكات العنف التي يتعلمها يتلقاها المشاهد من وسائل الإعلام لا تمارس عمليا ما لم يكن هناك موقف يثير هذا السلوك العدواني. لكن ما هو الذي يجعل هذه الوسائل الإعلامية والتواصلية مصدرا اجتماعيا لإثارة ونشر العنف في المجتمع والذي تمثل فئة الأطفال و المراهقين أكثر ضحاياه.

أ- وسائل الإعلام والتواصل السمعية البصرية (التلفزيون، الانترنيت) صارت في العصر الحديث وسطا من الأوساط التنشئة الاجتماعية شديدة التأثير قي نفسية وعقول الناشئة، وأداة تساهم في تكوين وتحديد الشخصية.

ب- وسائل الإعلام بما تقدمه من برامج وأخبار تحمل الكثير من القيم والأفكار السلبية كقيم العنف، والطفل والمراهق معروف بسهولة استثارته وقابليته لمحاكاة ما يشاهده، خاصة وأن العديد من الأبحاث تبين أن هذه الفئة من الأفراد تقضي وقتا أطول أمام الشاشات مما تقضيه في الدراسة. ولقد دلت بعض الإحصاءات أن "الشباب والمراهقين من أعمار 16 عاما في أمريكا يقضون عددا من الساعات يشاهدون التلفاز أكثر من تلك الساعات التي يقضونها في المدرسة. وببلوغهم هذا السن يكون إجمالي حالات القتل التي شاهدوها بلغت (13000) قتيلا في التلفاز" (عبد الرحمان العيسوي، 2000، 26)

ج- الإعلام يصور الممارس للعنف كبطل قوي وجلاب يتغلب على الأشرار، مما يؤدي إلى تضارب القيم لدى الأطفال المتعلقة بالعدالة والمساواة والحق. فيقتنع أن العنف مقبول اجتماعيا، ووسيلة فعالة لتحقيق مطالبه، وهذا ما يمهد لمارسته إذا تعرض لموقف مثير أو مستفز لما يعتقده.

دور الأسرة والمجتمع في مواجهة عُنف الأطفال والمراهقين الوارد من وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة.

العنف من أكثر المشاكل السلوكية التي انتشارا في أوساط الأطفال والمراهقين، وهي ظاهرة معقدة تتفاعل في نشوئها عدة عوامل: اجتماعية، ونفسية وتربوية، واقتصادية، وثقافية، ويصعب أحيانا تحديد عامل بذاته يمكن الاعتماد عليه في التفسير و التنبؤ والتحكم، لكن مما أصبح من المسلم به لدى الكثير والباحثين في ظاهرة العنف من علماء النفس وعلما الاجتماع، والتربويين، أنه لا يمكن تجاهل دور وسائل الإعلام والتواصل السمعية البصرية في دراسة هذه الظاهر السلوكية.

فالعنف سلوك فردي واجتماعي في الوقت ذاته يعبر عن حالة سوء التوافق الشخصي والاجتماعي، يهدد حياة الفرد والمجتمع، وبالتالي المجتمع بكل مؤسساته الاجتماعية والتربوية و الثقافية معني بالوقاية منه. وهناك تدابير يجب أن تؤخذ من طرف مؤسسات المجتمع للحد من منه،أو التقليل من آثاره السلبية الخطيرة، ومن هذه التدابير و الإجراءات:

أ- الأطفال والمراهقين كثيرا ما يشاهدون برامج ومشاهد ليست في الأصل موجهة لهم بل للبالغين، وهي خصبة بالعنف وغيرها من السلوكات غير الاجتماعية والأخلاقية لذا يجب على القائمين على هذه البرامج الحذر، فالأطفال غير مهيئين لاستقبال مثل هذه المضامين.

ب- تدخل الأبوين في انتقاء البرامج الإعلامية والترفيهية التي تعرضها وسائل الإعلام والتواصل، ويفضل مرافقتهم أثناء مشاهدتها، وتبيين ما هو مفيد، وما غير مقبول فيها.

ج- وسائل الإعلام كمؤسسة ثقافية وإعلامية يجب أن تقف في الصف الأول في القضاء على العنف عند الناشئة، من خلال نشر الوعي الاجتماعي بمخاطر العنف على حياة الأفراد الذين يمارسونه أو يتعرضون له وحياة المجتمع ككل.

د- للقائمين على الطفل ضرورة الاهتمام بمتابعة أطفالهم عند لعب ألعاب الفيديو والكومبيوتر وجعلها من النوع الذي يقوي إمكانياتهم المعرفية بدلا من تنمية روح العدوان والعنف لديهم.

الخاتمة:

الإعلام يسهم إسهاما كبيرا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تكوين شخصية الطفل والمراهق. لذا وجب الاهتمام بما نقدمه لهما من برامج، في كافة المجالات: الفكرية النفسية الاجتماعية والثقافية. وعليه فعلى وسائل الإعلام أن تراعي خصوصية جمهورها و خاصة الأطفال والمراهقين، وأن تراعي متطلبات المجتمع

ومصالحه، وعلى الأولياء أن يراعوا ما يناسب أبناءهم مما يعرض في هذه الوسائل، فتصبح وسائل للتثقيف والتنشئة الاجتماعية، وليس وسائل لإثارة النزعات العدوانية.

المراجع:

1- عبد الرحمان العيسوي(2000) اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، دار الراتب الجامعية، لبنان

2- فهد بن علي عبد العزيز الطيار(2005) العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية (دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض)، رسالة دكتوراه ، جامعة نايف للعلوم الأمنية، السعودية.

4- محمد قاسم عبد الله(2009) الشخصية –استراتيجياتها، نظرياتها، وتطبيقاتها الإكلينيكية والتربوية، الشخصية والعلاج النفسي- دار المكتبي، سورية.

5- سؤدد فؤاد الآلوسي (2012) العنف ووسائل الإعلام، دار أسامة، الأردن.

6- صاحب أسعد ويس الشمري(2012) أسباب العنف لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين و المعلمات، مجلة الدراسات تربوية، العدد 18،

7- Rachel Cohen(1987) les jeunes enfants la découverte de l'écrit et l'ordinateur, Presses universitaire de France.